

(١)

### مفهوم الهجرة بين الماضي والحاضر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {إِنَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

**وبعد :**

فعندما اشتد الأذى بأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مكة ، أذن لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) في السنة الخامسة من البعثة بالهجرة إلى الحبشة قائلًا لهم: (إِنَّ بَارِضَ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، فَالْحَقُّوا بِلَادِهِ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ) فخرج بعض الصحابة إليها ، ونزلوا بأرضها ، فأقاموا بخيبر دَارٍ ، وفي خيبر جوارٍ ، وأمنوا على دينهم ، وعبدوا ربهم ، حتى بلغهم أن أهل مكة دخلوا في الإسلام فقررروا العودة مرة أخرى ، ولما كان الأمر على غير ما سمعوا به ونالهم الأذى مرة أخرى ، أذن لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) في الهجرة إلى الحبشة للمرة الثانية ، وكان على رأس المهاجرين سيدنا جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) .

ولما علمت قريش بأنهم في مأمن وعزة ومنعة في جوار هذا الملك العادل ، أرادت أن تستردهم مرة أخرى ، فأرسلوا رسلهم إلى النجاشي يطلبون منه أن يسلمهم إليه ، فقال: لَا وَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُ قَوْمًا لَجُّوا إِلَيَّ بِلَادِي ، وَاخْتَارُوا جِوَارِيَّ عَلَى جِوَارِ غَيْرِي حَتَّى أَدْعُوهُمْ وَاسْمَعُ مِنْهُمْ ، ثم وقف جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) ليرد على مزاعم قريش وافتراءها ، فقال: أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ،

(٢)

وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَسْتَجِلُّ الْمَحَارِمَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسيءُ الْجَوَارَ،  
وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ  
نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِيُوحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ  
نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِن دُونِهِ مِنَ الْجِبَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ،  
وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِمَائِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ،  
وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ  
بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَعَدَّدَ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)  
أُمُورَ الْإِسْلَامِ - ثُمَّ قَالَ: فَصَدَّقْنَا، وَأَمَّنَّا بِهِ، وَابْتَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ  
وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا  
قَوْمَنَا، فَعَدَبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لِيُرِدُونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ  
نَسْتَجِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَجِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا فَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا  
وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغَبْنَا فِي جَوَارِكَ،  
وَرَجَوْنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ لَا نُظْلِمَ عِنْدَكَ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ  
اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: اقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا  
مِنْ {سُورَةِ مَرْيَمَ}، قَالَتْ: فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَافِئَتُهُ حِينَ  
سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لِيَخْرُجُ مِنْ  
الْمِشْكَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا عَيْسَى أَنْطَلِقًا، فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا .

إن المتدبر بعين البصيرة في الهجرتين إلى الحبشة يدرك جيدا أن هجرة  
المسلمين الأوائل لم تكن هجرة من دار كفر إلى دار إيمان، لأن الأصل هو الدفاع  
عن الأوطان وعدم تركها لظالم أو معتدٍ، وإنما كانت هجرة من دار خوف إلى دار  
أمن، ذلك أن النجاشي ملك الحبشة لم يكن وقتها على دين الإسلام، ولكنه كان

حاكما عادلا يأمن الناس في جواره على دينهم وأنفسهم وأموالهم، ولهذا قيل: (إنَّ اللهَ (عز وجل) ينصرُ الدولةَ العادلةَ ولو كانتْ كافرةً، وتُخذلُ الدولةَ الظالمةَ ولو كانتْ مسلمةً) ، فالملك قد يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم، أما الدولة الظالمة فلا تدوم حتى لو حكمها مسلم، وقد جعل نبينا (صلى الله عليه وسلم) الإمام العادل في مكانة عالية، ومنزلة سامية يوم القيامة في مقدمة السبعة الذين يظلهم الله (عز وجل) في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فبعدله ينصلح المجتمع كله، وبظلمه يفسد المجتمع .

ولما أذن الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة إلى المدينة المنورة خرج (صلى الله عليه وسلم) مؤيداً بنصر من الله (عز وجل) ، لأن الهجرة كانت تحولاً إيجابياً لبناء الدولة ، وتحقيق التعايش السلمي والمواخاة، وتحقيق وحدة الصف حتى يتمكن النبي (صلى الله عليه وسلم) من إبلاغ رسالة ربه (عز وجل) للعالمين، وفي ذلك يقول الحق سبحانه: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} .

وفي السنة الثامنة من الهجرة يفتح الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) مكة المكرمة فتحاً مبيئاً، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً ويتحول مفهوم الهجرة من معناها المحدود الضيق إلى معانٍ رحبة واسعة لا حدود لها تشمل جميع مناحي الحياة، فبعد فتح مكة انتهت الهجرة من دار إلى دار بعد ما كان الانتقال مطلباً في وقت الضعف ، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً

(٤)

فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا وَأَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } ، تغير حكم الهجرة بعد فتح مكة ، بقوله (صلى الله عليه وسلم): (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ) .

وعندما أسلم صفوان بن أمية ، قيل له وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ : إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ ، فَقَالَ : لَا أَصِلُ إِلَى بَيْتِي حَتَّى أَقْدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَنَزَلَ عَلَى سَيِّدِنَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رضي الله عنه) ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ : (مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا وَهَبٍ؟) ، قَالَ : قِيلَ : إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (ارْجِعْ أَبَا وَهَبٍ إِلَى أَبَاطِحِ مَكَّةَ فَقَرُّوا عَلَى مِلَّتِكُمْ ، فَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) .

وإذا كان أمر الهجرة المكانية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة قد انتهى بفتح مكة ، فإن كل معاني الهجرة النبيلة لا زالت قائمة وهي مما يجب علينا أن نحرس عليه ، فلقد أصل النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الهجرة الحقيقية إنما هي تحول إيجابي نحو الأفضل والأحسن، كالتحول من البطالة والكسل إلى الجد والعمل والإتقان ، ومن الأثرة والأنانية والعصبية الجاهلية إلى الإيثار والإخاء الإنساني الصادق ، والإيمان بالتنوع، وحق الإنسان في الاختيار، وحرية المعتقد ، وعلاقات حسن الجوار ، والعمل على بناء الإنسان إيماناً ، وعلمياً ، وفكرياً ، وسلوكياً ، وأخلاقياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً بناءً سليماً راسخاً ، يبني الدولة ويصنع الحضارات ، ويحقق صالح البشرية جمعاء ، ويحفظ كرامة الإنسان كإنسان .

إن الفهم الصحيح لمعنى الهجرة الحقيقية يقتضي أن الهجرة التي لا تنقطع على مر العصور هي التحول من الجهل إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى ، ومن سيئ

(٥)

الأخلاق إلى صالحها ، ومن الفساد إلى الصلاح والإصلاح ، بما يسهم في بناء الحضارة وإعمار الكون، لأن ديننا دين البناء والتعمير للكون كله ، قال تعالى : {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} ، فأمتنا أمة عمل لا أمة كسل ، أمة بناء لا أمة هدم أو تخريب ، أمة حضارة ، ولم يكن التخلف أبداً سمة من سماتها .

فحري بكل مسلم يحب دينه ويعتز به أن يعمل من أجل رفعة دينه وعزة وطنه بعيداً عن كل ألوان الزلل ، والشطط ، والتطرف ، كالهجرة إلى جماعات الإرهاب بوهم الجهاد الكاذب تحت الرايات المغرضة الزائفة، أو كالهجرة غير الشرعية التي تؤدي إلى الهلاك ، أو المذلة والمهانة ، والتي هي مجرمة قانوناً وموثمة شرعاً ؛ لأن حرمة الأوطان كحرمة البيوت ، وكما لا يجوز دخول بيت أحد إلا بإذن منه كذلك لا يجوز دخول أي دولة إلا من خلال الطرق القانونية المشروعة ، فكما لا يحب أحد أن يتسلل أحد إلى دولته أو يدخلها بغير الطرق الشرعية القانونية ينبغي ألا يفعل ولا يقبل هو أيضاً ذلك تجاه أي دولة أخرى .

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

\* \* \*

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

**إخوة الإسلام :**

لا يفوتنا أن نذكر في هذه المناسبة العطرة بأن شهر الله المحرم أحد الأشهر الحرم ، ويستحب الإكثار من الصوم فيه عامة ؛ قال (صلى الله عليه وسلم): (أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ

صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وصوم يوم عاشوراء خاصة؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم):  
(صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ) ، ولما قَدِمَ النَّبِيُّ  
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ رَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: (مَا هَذَا) ، قَالُوا:  
هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بِنِيِّ إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى ، قَالَ:  
(فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ) فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): "  
حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ  
اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظَّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (فَإِذَا  
كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ ) ، أي: صمنا التاسع مع العاشر ،  
فمن السنة صيام العاشر من المحرم ، ومن تمامها وكمالها صيام التاسع والعاشر منه .

**نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى ، وأن يجعل العام الهجري الجديد  
عام خير وبركة ونصر وفتح لمصر وسائر بلاد المسلمين .**